Route Educational and Social Science Journal

Volume 4(4), June 2017

Article History

Received / Geliş	Accepted / Kabul	Available Online / Yayınlanma
05.05.2017	24.05.2017	15.06.2017

GOD AND JEWISH AND CHRISTIAN RELIGIONS ANALYTICAL HISTORICAL STUDY IN THE BOOK (PHILOSOPHICAL DICTIONARY) TO VOLTAIRE

Dr. Misak Beyat Abduldayfi
Dr. Şahe Diham Abdulcaburi

The Philosophical Dictionary of Voltaire did not direct any reader, but for the reader philosopher despite mostly historical character and who needs to reader of, but the spirit of the texts of articles tended to the philosophy of history, stood up through examination historical mused in the history of the former ancient beliefs of the Jewish religions, Christianity, and then compare it with beliefs similar, trying to respond rituals and religious beliefs to real assets, that make it calls into question the credibility of the history, the history books of the Torah and the impossibility of mind historical facts, as well as the comparison of several texts, including, for standing on the contradiction and then prove distortion and lying in search of blogging circumstances, and touched on criticism The moral tenor and content. It also gave a more comprehensive historical perspective in his talk about Judaism and Christianity, it was isolated from the rest of the events, and dealt with in a pluralistic historical context, reverse look synagogue and the church, which was characterized by superiority and pride to the degree he succeeded have a new kind of history of the Jewish and Christian world. The book Philosophical Dictionary of Voltaire strong whiff of the French Enlightenment, with cash Spirit of Judaism and Christianity, took this whiff sublime values concerning justice, freedom, tolerance, and respect for the human mind, but this respect reached an end sanctification, united extremism in his rejection of the contradictions and errors and additions and justifications preposterous and that was rule over them and through the French Catholic Church to the French people, came Dictionary Voltaire in his time to break the prestige of the criticism of the Church, bringing to serious results and developments successive brought the French people rapidly to the path of the revolution in 1789.

الملخص/
إن القاموس الفلسفي لفولتير لم يوجه لأي قارئ، وإنما لقارئ فيلسوف رغم الطابع التاريخي الغالب والذي يحتاج إلى القارئ المؤرخ، ولكن روح نصوص مقالاته كانت تميل إلى فلسفة التاريخ، فقام من خلاله بالفحص التاريخي متأملا في تاريخ العقائد القديمة السابقة للديانتين اليهودية والمسيحية ثم قارنها مع العقائد المماثلة، محاولا أن يرد الطقوس والعقائد الدينية إلى أصولها الحقيقية، هذا جعله يشكك في مصداقية التاريخ، تاريخ أسفار التوراة واستحالة اعتبارها كحقائق تاريخية، كذلك قام بالمقارنة بين نصوص عديدة منها، ليقف على التناقض ومن ثم يثبت التحريف والكذب بحثا في ظروف التدوين، وتطرق لنقد الفحوى والمغزى والمضمون.

كما وقدم نظرة تاريخية أكثر شمولا في حديثه عن اليهودية والمسيحية، فلم يعزلهما عن باقي الأحداث، وعالجهما في سياق تاريخي تعددي، عكس نظرة الكنيس والكنيسة التي كانت تتسم بالتعالي والكبرياء لدرجة انه نجح بكتابة نوعا جديد من تاريخ العالم اليهودي والمسيحي. يعتبر كتاب القاموس الفلسفي لفولتير نفحة قوية من نفحات التنوير الفرنسي، ذات الروح النقدية التفنيدية لليهودية والمسيحية, حملت هذه النفحة قيم سامية تخص العدالة، والحرية، والتسامح، واحترام العقل الإنساني، إلا أن هذا الاحترام وصل حد التقديس، وحد التطرف في رفضه للتناقضات والأخطاء والإضافات والتبريرات المنافية للعقل والتي كانت تتسلط بها وعن طريقها الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية على الشعب الفرنسي, فجاء قاموس فولتير في وقته لكسر هيبة نقد الكنيسة مما أوصل إلى نتائج خطيرة وتطورات متلاحقة اوصلت الشعب الفرنسي بشكل متسارع إلى سبيل الثورة في عام 1789م.

المقدمة/
قاموس فولتير الفلسفي كتب في العام 1764م أي منذ قرابة 250 عاما أثار ولا زال يثير الجدل والذكريات العقابية وقرارات الحظر التي اقترنت بهذا العمل الساخر للفيلسوف والكاتب والأديب الفرنسي فولتير الذي توفي عام 1778 عن عمر ناهز 83 عاما. وما زال هذا القاموس يثير الدهشة بجسارته لأنه كان ولا يزال يعبر عن آراء الكثير من المثقفين الأوروبيين الذين ينظرون بتقدير وإعجاب إليه, كعمل صمد كل هذه السنوات الطويلة ومازال بمقدوره إثارة الدهشة والغبطة في نفوس القراء حتى إن البعض يعتبر قراءته متعة تقدم الكثير من المسرات.

من المؤكد أن فولتير عمد لتحدى الكثير من المسلمات في العقل الأوروبي بصورة صادمة فيما لم يتورع عن النيل من أمور تدخل في باب المقدس لدى الأوروبيين عندما أعد هذا العمل المثير للجدل, وهكذا حرمه الفاتيكان ودخل قاموسه الفلسفي قائمة المحظورات الفاتيكانية منذ ظهوره في القرن الثامن عشر واستمر الحظر التاريخي حتى عام 1966م, فيما كان ضبط هذا القاموس بحوزة شخص ما يعنى ارتكابه جريمة

تستحق العقاب الشنيع طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهذا ما حدث فعلا في عام 1776م عندما ضبطت نسخة من هذا العمل المحظور مع فارس يدعى دو لابار فكان الجزاء قطع لسانه قبل إن يقطع رأسه ويحرق.

ولعل موهبة السخرية لدى فولتير التي تجلت في قاموس الجيب الفلسفي كانت احد أهم أسباب رواج هذا القاموس المتميز الذي كتبه وهو في السبعين من عمره. وكان قد أراد منه إن يكون نوعاً من الوصية الفكرية والخلاصة المسهبة والواعية لكل ما عايش وعرف وابتكر من أفكار, ناهيك بأنه قدم فيه هذا نظرة إلى الدين والله تتناقض مع ما كان أثر عنه إذ لم يبدو فيه ملحداً كما اعتاد مؤرخوه تصويره، بل حلولياً، يؤمن بوجود الله كقوة خالقة للكون فاعلة فيه, وذلك من دون إن يتراجع عن مواقفه المناهضة لرجال الدين والتي كلفته كثيراً.

تناول في قاموسه العديد من الدراسات والموضوعات والمقالات التي كرسها لقضايا السياسة ولاسيما الحرية، ولمسائل القوانين وعلاقة الإنسان بها، والحروب والدول، والحكومات مع مفاضلة بين شتى أنواع الحكومات. وفي هذه الدراسات كافة جعل من نفسه مدافعاً حياً وحيوياً عن حرية الفكر وعن النظام الدستوري, ففيه رأى إن دولة القانون هي الدولة الأفضل والمدينة المثالية, والطريف إن مقاله عن دولة القانون جعله على شكل حوار، حيث يسأل واحد الآخر: ما هي أفضل الدول؟ فيأتيه جواب الآخر: أنها الدولة التي لا يطاع فيها شيء سوى القانون, فيجيب هو أن هذه الدولة لا وجود لها». وإضافة إلى هذا كله حفل _القاموس الفلسفي المحمول_, كما اسماه هو, بالكثير من المقالات حول علم النفس وعلم الجمال، وعلم الأخلاق, وهي علوم اعتبرها جزءاً من السياسة وجزءاً من الفلسفة.

وقد جعل الكثير من الأفكار المعبّر عنها في الكتاب، يأتي على شكل حوارات, مثلاً بين انكليزي وإسباني حول حرية الفكر, وبين فيلسوف إغريقي ومفكر أسيوي حول وجود الله, وبين فقير هندي ومواطن صيني. أو بين صينيين وتركيين. وفي الأحوال كافة ومهما كانت جنسية المتحاورين فإن الأسلوب دائماً واحد, احد المتحاورين يبدو جاهلاً تماماً لكنه مملوء بالحس السليم، أما الآخر فيبدو عالماً ضخماً بالأفكار، لكنه سرعان ما يفقد أفكاره ويكون على الثاني، الجاهل، أن ينوّره.

وهنا نؤكد إن عامل الترجمة كان له دور كبير في رواج قاموس فولتير بعد أن جذب هذا العمل الجسور ثلة من المترجمين تولوا نقله للغات مختلفة ليحظى بالانتشار رغم كل قرارات الحظر والمنع والعقوبات الكبيرة, ولكن إلى ألان لم يحضا قاموس فولتير بأي محاولة لترجمته إلى اللغة العربية فنرجو إن يسترعي اهتمام مترجمينا الأفاضل ويقدموه بلغتنا لما نوقن بما يحتويه من أهمية كبيرة.

على كل حال إن فولتير، لم يلق الاهتمام الكافي من الدراسة خاصة في العالم العربي، حيث عرف الرجل كأديب ومسرحي، يدرس في كليات اللغة والآداب الأجنبية، ولا

نجد له ذكرا في أقسام الفلسفة إلا في النادر عند التعرض لتاريخ الفكر الأوربي الحديث. إن فولتير، اسم يحمل معنى ودلالة حقيقتين، لم ينل لقب _ممثل التنوير_ مجاملة أو من ضربة حظ وإنما الرجل تعرض للنفي والسجن والنفي حينما عاد من منفاه من هولندا، سجن في الباستيل وهو في العشرين من عمره، وسيطر على المسرح الفرنسي قرابة نصف قرن.

إن نقده لليهودية والمسيحية يشكل حجر الزاوية في جميع مؤلفاته، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، إلا أن المتفق عليه أن فولتير معروف بعدائه الشديد للديانتين، وكل ما يتصل بها من عقائد وطقوس ومؤسسات رسمية. هذا العداء أفرز نقدا، جمع في القاموس الفلسفي، مما يؤهله لأن يستحق الاهتمام والدراسة في مجال النقد الديني، وهذا ما يخدم إشكالية دراستنا في حد ذاتها.

1_ الله (جل جلاله), حسب وجهة نظر فولتير

كان لفولتير موقف واضح من الألوهية وموقفه نقيضا للعقيدة الربوبية اليهودية والمسيحية المتوارثة، ورغم اتهامه بالإلحاد، إلا أنه كرر مرارا أنه مؤمن بإله لكن ليس إله اليهودية ولا المسيحية المخلص، وإنما إلهه نبع من إعجابه بالصانع العظيم, الصانع الحكيم الدقيق في ابتكار العالم والمحافظ على استمراريته.(1)

جاء تناقضه معهم لأنه وجد إن الله في اليقين والتصور اليهودي يحمل اسماء عدة وغريبة كان اشهرها يهوه، وهو ليس إلهاً معصوماً، بل يخطئ ويثور، ويقع في الندم، وهو يأمر بالسرقة، وقاس ومتعصب، مدمر لغير شعبه، إنه إله يهوديا فقط، وهو بهذا عدو للآخرين.(2) بينما كان الله في اليقين والتصور المسيحي ثالوثا نافى عقلية فولتير ورفض مرارا تقبله إذ عده امره مناقضا للعقول البشرية.(3)

لقد رأى فولتير إن الله ما هو إلا رياضي بارع، صنع العالم، وجعله يسير كالساعة، وإن هذه الساعة متمثلة في نظام الكون الذي يظهر الأشياء وكأنها قد صنعت بعين مصمم فائق القدرة والرؤية. ولم يقتنع بتفسيرات الشر وعلاقة الله بالعالم، ولم يتقبل الأصوات المنادية بظهوره في العالم، ورفض إزاءها العودة إلى أي مرجعية دينية، وحينما كفروا آراءه نتيجة للجو الفكري الذي كان سائدا، والذي عرف نزاعا حقيقيا حول الله، وأمام هذا الوضع كان الشك يحوم حول فولتير نفسه، فهل هو مؤمن أم ملحد.(4) وعلى الرغم من تعدد كتاباته التي يشهد فيها بإيمانه بالله، ورفضه للإلحاد لكنه مع ذلك نراه يعمد إلى التوكيد بأن إيمانه لا علاقة له لا باليهودية ولا بالمسيحية ولا بإلهيهما المخلص ووحيهما السماوي .

فولتير كان يؤمن بإله، بعيد عن إله اليهودية وشعبه المختار وبعيدا عن اله المسيحية وبعيدا عن الوحي المقدس بكل معجزاتهما، إله صانع، منظم، لكن ليس مخلّص أبدا،

العقل عاجز عن إدراك ماهية أو طبيعة الله، وهو بهذا يفضل اعتماد موقف « لا أدري من هو الله » بدلا من الخوض في مسائل يستحيل التوصل إليها، لذا رأى انه عليه فقط أن يعرف أن الله موجود، وأن يعبده بالروح، وأن الله يريد من الناس أن نكون عادلين تجاه بعضهم البعض.(5)

إن إيمان فولتير، المرفوض من طرف الديانتين اليهودية والمسيحية، وكما يعرفه هو: (ما الإيمان، هل الاعتقاد فيما يبدو بديهيا؟ لا، إنه من البديهي، أن يوجد كائن، ضروري أزلي، أعلى، ذكي، وهذا الاعتقاد لا يعود إلى الإيمان، بل إلى العقل، ليس لي أي فضل عندما أفكر أن هذا الكائن الأزلي اللانهائي، والذي أعرفه كفضيلة ونعمة يريد مني أن أكون جيدا وفاضلا).(6)

2 *الديانة اليهودية حسب وجهة نظر فولتير* /

من واقع تجربته وكثر قراءاته وجد فولتير إن التوراة التي عند المسيحيين ليست هي التوراة اليهودية، ووجد في التلمود اليهودي إن العالم خلق فقط من أجل اليهود، ولا يمكن أن يكون أبناء الله وأنصاره إلا اليهود، كما أن الوصايا العشر في التلمود لا تنطبق إلا على اليهود، فحين تنص على ألا تقتل، فهذا يعني لا تقتل اليهودي، أما غير اليهودي فاقتله, وكذلك الفتنة والسرقة والزنا وباقي الوصايا. ومن هنا اليهودي يقتل ويدمر غير اليهودي باسم الرب، وإن لم يقتلهم فإنه يعتقد أن الرب سيعاقبه.(7)

قام فولتير بعملية نقدية كبيرة لكتاب اليهود المقدس وهو التوراة والذي عرف بعد ظهور الديانة المسيحية بأسم العهد القديم, وتتبع فسفر التكوين القضايا الواردة ليقارنها بمعطيات علمية وكذلك تاريخية سابقة لليهود,(8) كما قارن بين ما ورد في هذا السفر من معلومات عن الأرض وبداية الخلق، وبين نصوص الفينيقيين الفلسفية، فذكر عن الفينيقيون أنهم كانوا يعرفون بأن الأرض تشكل مجرد نقطة، مقارنة بالكواكب التي في السماء، على عكس اليهود، الذين نظروا إلى الأرض بشكل مختلف، وجعله هذا يصف اليهود بالشعب الجاهل، الذي سخر كل الخلق من أجل الأرض.(9)

واصل مقارنته بين اليهود والفينيقيين، فتعرض مثلا لمسألة «المادة» والجدل الذي أثارته من حيث قدمها من عدمه فلقد اعتقد الفينيقيون كبقية شعوب العالم بأزلية المادة، ولا يوجد نص في التوراة أكد أو أوضح أزلية المادة فقد اعتقد اليهود إن المادة هي أمر مستحدث وليست مستخرجة من العدم, وذهبوا إلى تنوع أقوالهم حول مسألة أزلية العالم، بينما لم يتطرقوا إلى أزلية المادة.(10)

تناول أيضا التناقضات التوراتية، كخلق الشمس والقمر بأربعة أيام بينما تؤكد التوراة في مواضع عدة انه كان في ليل ونهار، قبل خلق الشمس! ولإبراز الأخطاء حلل فولتير العديد من المحتويات الواردة في سفر التكوين ومنها إن الله نهى آدم أن يأكل من شجرة المعرفة, ليبعده عن معرفة الخير والشر، لكن المنطقي لدى فولتير، أن الله كان سيأمره بالأكل منها حتى يعرف الخير والشر, وان الله مسبقا قد اعلم كلا من ادم وحواء انه إن أكلتما من ثمر هذه الشجرة فمصيركما الموت العاجل « إذا أكلتما ستموتان » لكن الذي حدث أن آدم لم يمت، بل عاش كما قيل ما يقرب من 930 سنة, لذا تبين لفولتير إن اليهود رموا ربهم بتهمة الكذب, لذا استغرب كيف يعبد ربا كاذبا.(11)

مع إن تركيب اللغة التوراتية لا يستند إلى قواعد نحوية متفق عليها، ويؤدي إلى عدم إدراك المعنى الحقيقي للكثير من النصوص، مهما حاولنا مقابلتها ببعضها البعض، فقد استخدم فولتير التقنية اللغوية في كثير من التنقيب لفهم وادراك النصوص، لذا فما إن أراد تحليل اسمي آدم وحواء، حتى اعادهما إلى اللغة الفينيقية ليجد انهما يحملان ذات المعنى, ولما أراد فهم الفحوى التي أراد منها الله قطع آدم ليخلق حواء، أو كما تقول التوراة امرأة أخرى منه، وجد في التوراة ذاتها إن الله كان قد خلق ادم وحواء معا ولم يسبق احدهما الأخر.(12)

لقد وجد فولتير إن الكثير من العلماء رأوا أن تحذف الأشياء غير المعقولة والتي تضر بالناس الضعفاء خاصة، أي أن تحذف من الكتاب، وبعضهم حاول أن لا تترجم هذه الكتب المقدسة إلى اللغات المتداولة، والمعروفة، لكن هؤلاء العلماء، كانوا يتهمون دائما ويحرقون، لذا يرى انه لا مفر من التسامح في مثل هذه المسألة، بين مختلف الأطراف، بدلا من الدخول في صراع دموي, وإن على الذين يدركون ويفهمون التوراة أن يتسامحوا مع من لا يدركونها، لأنه ليس خطؤهم أنهم لم يدركوا شيئا، وكذلك على الذين لم يفهموا شيئا من الكتاب أن يتسامحوا مع الذين فهموا كل شيء فيه وهذا أمر ما كان يعقله هو, لأنه برر ذلك في انه حتى لو صح الكتاب، فإنه لم يسجل إلا بعد آلاف السنين، أي أراد القول من كل ذلك إن التوراة قد اقتحمتها الأساطير والخرافات الشرقية والفينيقية.(13)

وشأنه كشأن معظم علماء اللاهوت رفض نسبة الأسفار الخمسة إلى نبي الله موسى، وتأكيدا لرفضه استعرض العديد من الحجج له ولغيره من الباحثين الذين يؤيدون وجهة نظره، وتطرف في ذلك إلى درجة إن شكه حام حول ليس عن الإجابة عن استفسارية هل كان موسى صاحب الأسفار أم لا؟ وإنما حول التحقق الفعلي من وجود نبي اسمه موسى، مؤكدا إن المؤرخين المصريين لم يذكروه، رغم كل ما حقق من معجزات كبرى كان من غير الممكن إغفالها، ولكن المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة يتغافلوها ولا يذكروها! والسؤال الذي أثار فولتير من هو موسى هذا المجهول تماما في كل الأرض، والذي لم يظهر إلا بعد مرور قرون عدة بل ولم يبان لنا وجوده حتى الوقت الذي تشبعت أفكار وأقوال ونصوص اليهود بالأساطير الشرقية.(14)

في هذا الأمر أثار فولتير جملة من التساؤلات جاء في مقدمتها بأي لغة كتب موسى أسفارة الخمسة وهو الذي كان بصحبة جماعته في صحراء قاحلة, لذا أجاب افتراضيا على ذلك بأنه لم يكتب إلا باللغة المصرية الهيروغليفية, لأنه ومن خلال التوراة، نجد أن موسى وكل شعبه ولدوا وعاشوا في مصر لقرون عدة، لذا هم عمليا لا يجيدون التكلم والكتابة بلغة أخرى، ويسترسل بكلامه إلى إن يجد إن المصريين في عهد خروج اليهود من مصر لم يكونوا قد استخدموا بعد تقنية ورق البردي في الكتابة، بل أنهم كانوا يكتبوا بنقش الخطوط الهيروغليفية على الحجر والرخام والخشب، ومع انه وجد قولا لبعض علماء اليهود اكدوا فيه أن اسفار موسى نقشت على الحجر، أي يفترض أنه تم نقش خمسة أجزاء، على حجر أملس، وان تأملنا حجم كل سفر وكم سيحتاج من وقت وحجر لينقش فلا يعني هذا إلا إن نقش الاسفار الخمسة استدعى جهدا ووقتا كبيرين قد يصل إلى سنوات عدة,(15) وبهذا تقدم فولتير بنقد تاريخي موضوعي حلل فيه ظروف وإمكانيات العصر، فحجم خمسة أسفار، حجم كبير، كيف يمكن نقشه، على أحجار معدودة حملوها معهم إثناء الخروج.

ما قدمه فولتير كان قد ناقض عمليا الظروف التي مرت باليهود في مصر وتناقض مع ما كتبوه هم عن وضعهم الصعب في رحلة خروجهم عن الأراضي المصرية وكيف خلدوا فيها ما أسموه نضالهم التوحيدي ضد الملحدين لدرجة أنهم هاموا في الصحراء وهم يفتقدون كل شيء وحتى أنهم افتقدوا أيضا الخياط والاسكافي وان الرب عوضهم عن ذلك بأنه صنع لهم الملابس والأحذية, لكنهم وفي هذا الوضع المأساوي كما قالوا عنه, هل كان من الجائز أنهم وجدوا في تلك الظروف الحرجة، عمال مهرة تكفلوا بنقش الأسفار الخمسة على الرخام أو الخشب, ام إن الله أيضا هو من كان قد تكفل بنقشها لهم؟.(16)

لكن التناقضات التوراتية لم تتوقف عند هذا فقد احتار فولتير بكيفية وطريقة إذابة العجل الذهبي الذي قام بها اليهود في ليلة واحدة وحولوه إلى مسحوق، وهي عملية تعتبر مستحيلة كيميائيا، ولم تخترع إلى وقتنا هذا سبيل إلى ذلك.(17) لذا علّق على مستوى صناعة اليهود، المتناقض، فبينما هم يخبرون أنهم يفتقدون لوجود الإسكافي والخياط لدرجة تدخل الرب لصناعتها لهم، فمن أين لهم بكتبة ماهرين وهم يفتقدون للأساسيات ومن اين لهم بعمال مهرة وخارقين للعادة في اذابة عجل ذهب وتحويله إلى مسحوق!(18)

طرح فولتير كذلك تساؤل أخر فيما إذا كان موسى هو الذي كتب سفر التكوين، فلماذا كان ممنوعا على كل الشباب اليهود دون عمر الثامنة عشر عام قراءته والاطلاع عليه؟ ألم يكن يتوفر قدر ضئيل من العقل والاحترام لنبي هذا الدين إلى درجة منع صغار السن من مطالعة كتاباته, ام إن ما نسبوه من كتابة لنبيهم كان كذبا وافتراء؟ ولكن إن كان فعلا هو من كتب هذا السفر فكيف يجزم ويؤكد بأن الله يعاقب الناس على

آثام ابائهم حتى الجيل الرابع، ومن ثم يأتي نبي أخر لهم وهو حزقيال ليكذب موسى وينفي اغلب ما قاله جملا وتفصيلا.(19)

هذه التناقضات التي ذكرها فولتير موجودة في نص التوراة وفي ظروف الكتابة التي يناقض بعضها بعضا في مواضع كثيرة ونجده يتواصل بكشفها فيجد تناقضا أخر يتعلق بمنع الرجل أن يتزوج أرملة أخيه في سفر اللاّويين، لكن ذلك الأمر يتناقض بوجوب الزواج منها في سفر التثنية.(20)

إن تساؤلاته تكشف عن التناقض داخل النص من جهة، وعن المبالغة من جهة أخرى، مبالغة لا علاقة لها بالمعجزات، فهذه لها سياقها، وإنما مبالغات تكشف عن الزيادة والتعظيم، ومع كثر الأخطاء المتناقلة والمتناقضة من سفر توراتي إلى أخر وجد فولتير أمر اتسم بغرابة كبيرة إذ رأى إن ما ينقله اليهود عن نبيهم هو ذكره لمدن لم تكن توجد بعد في زمانه، كذلك استغرب ذكر مدن كانت توجد شرق الأردن وهو يجزم أنها توجد في الغرب, وينقد أيضا الكيفية التي مكنت نبي اليهود من أن يخصص ثمانية وأربعين مدينة للآويين، في بلد لم يعرف حتى عشرة مدن، إذ لم تكن آنذاك إلا صحراء قاحلة.(21)

أثار فولتير قضية حساسة فصل فيها النقد المعاصر للتوراة، بيقينه أن أسفار التوراة الخمسة لم تكتب وتألف إلا فيما بعد إنشاء المملكة الاسرائيلية، ولذا فأن التوراة لا تعود أبدا إلى عهد النبي موسى، وعن ذلك تساءل هل كان بإمكانه أن يضع قواعد لملوك اليهود الذين أعقبوه بخمسة قرون، بينما لم يقل شيئا عن القضاة والأحبار الذين أتوا بعده مباشرة, وكل ذلك كان في وقتا كان فيه اليهود في اشد حالات الترحال والخوف والرعب, فكيف اعطى قوانين وقواعد وأسس للحكم التي سار عليها الملوك الذين ظهروا بعده بقرون عدة, لذا جزم بأن الأسفار الخمسة ألفت زمن الملوك، وأن الطقوس التي قال اليهود إن موسى أسسها لم تكن إلا تلفيقا على شخصه واسمه.(22)

ولأن فولتير تفاجئ بعدد جنود الجيش اليهودي الخارج من مصر والذين يبلغ عددهم بحسب ما جاء في التوراة بأكثر قليلا من ستة مائة ألف مقاتل, وأمام هذا العدد الضخم من الجند اليهود، فأنه لم يستطع تخيل ولم يستطع تفسير وتحليل غرابة رفض اليهود وممانعتهم خوض أية حرب مع الجيش المصري الفرعوني الذي لم يكن يبلغ تعداده مائتي إلف رجل في أحسن حالاته والذي كان بالإمكان هزمه ولكان أصبح اليهود هم أسياد مصر فعليا, ولرفضهم خوض القتال رضوا في إزاء ذلك إن يمروا في ثمانين موضعا مصريا، كان بالإمكان تفاديها، ليتم إنقاذهم في الأخير بمعجزة شق البحر, ومن ثم قبولهم بالعيش في الصحراء والحرمان من السكن في أرض خصبة، وتاهوا كما ذكرت توراتهم في الجبال والصحاري.(23)

لم يملك فولتير أمام هذا الزخم من التناقضات المقدسة إلا أن يؤكد إن ما لقنه ويلقنه اليهود لأبنائهم كله معلومات مزيفة وكاذبة، حول اليهود المشردين الذين ماتوا في الصحاري، وعن نبي الله موسى الذي جعلوه وكما أرادوا قاتلا قام بقتل الآلاف،

وحولوه وحسب رغباتهم إلى شخص بربري، بل الأكثر بربرية في الإبادة والسرقة والاغتصاب وكافة المنكرات.
هذه بعض من الاعتراضات على الديانة اليهودية وكتابها المقدس التي قدمها فولتير لإثبات إن النبي موسى لم يكن مؤلف الأسفار وليس له علاقة بها وبخرافاتها وتناقضاتها.

3_ الديانة المسيحية _ حسب وجهة نظر فولتير

فولتير هو ابن بيئة مسيحية كاثوليكية، لذا كان على أتم الاطلاع بأحوالها وتفاصيلها وأدق بأسرارها، فتطرق إلى الجوانب التاريخية والعقائدية والسياسية وتعرض لمسائل عديدة، بدءا من اسم المسيحية الذي ارجع نسبته إلى اسم نبي الله يسوع _عيسى_ المسيح، لكنه وجد إن كتب المؤرخين تخلو من ذكر المسيح، وأثار صعوبات في عدم قناعته بمولد المسيح المعجز، وهل هو ابن مريم فقط، أم أنه ابن يوسف النجار أيضا، لكنه تجاوز ذلك بطريقة وأخرى و تساءل عن شيء أهم وهو هل كان المسيح قد ولد تحت الشريعة الموسوية، وهل أتبعها بكل قواعدها، فكيف إذن لم يسير على طريقها ولم يسعى لنشر نبوته ورسالته بعيد عن اليهودية الخاطئة عمليا ولم يبشر إلا بالقيم الأخلاقية، ولما لم يوحي أبدا بسر تجسده، ولم يذكر_كما يرى_ لليهود أنه ولد من عذراء، أو انه تعمد على يد نبي الله يوحنا المعمدان_يحيى_ في مياه نهر الأردن، وهو طقس كان يقوم به الكثير من اليهود، لكن السيد المسيح لم يعمد أحدا، ولم يتحدث عن المقدسات السبع، كما ولم يؤسس نظاما كنسيا في حياته, إنما عاش بشكل بسيط متبعا التقليد اليهودي.(24)
لكن الذي حدث لاحقا كان شيئا مغايرا ، كما يرى فولتير إذ انه كان قد أخفى على كل معاصريه بأنه وكما تقول البابوية كان (ابن الله الأزلي)، المتولد من جوهر الله وبأنه كذلك جوهر الروح القدس المنبثق عن الأب والابن, واخفى على حوارييه أو رسله تمتعه بشخصية تتكون من طبيعتين وإرادتين، وتركهم بصورة مظلمة لا يعلمون من هو ولماذا لم يصارحهم بحقيقته بينما_وبعد إن مات هبط إلى الأرض_ صارح اناس اخرين لم يلتقوه بحياته, بأسراره وزودهم بأنوار الروح القدس.(25)
بعد طرح فولتير لهذه المسائل العقائدية قام بنقدها وبحثها ومناقشة مدى تقبل العقل لها, فناقشها منذ ولادة المسيح وطفولته ودعوته التي ضخمت مفهومها وقلبتها وحرفت مضامينها من قبل البابوية، وتناول الكيفية التي شهدته شخصيته بتطورها المذهل فأصبح بين ليلة وضحاها ابن إله وذو طبيعتين, رغم أنه وطوال حياته لم يتعد في شيء عن القانون الموسوي ولم يطالب بتغييره، ولم يظهر تجاه الله إلا إعجابا صادقا، لكنه اضطهد من قبل حساده، وحكم عليه من طرف قضاة اعتبروا بقاءه خطرا عليهم لذا

كان لابد من القضاء عليه فأتموا ذلك سريعا ومن دون إن يقف في وجههم أي احد من مناصريه السابقين, لذا رأى إن حياة المسيح لم تكن غير دعوة بسيطة ونهاية ظالمة، لكن من كان المسؤول عن التطورات والانحرافات الدينية التي حدثت فيما بعد؟ أكيد أنهم الأشخاص الذين قالوا أنهم التقوا المسيح بعد موته وجعلهم مزودين بأنوار الروح القدس، لكن ذلك لم يمنع فولتير من البحث عن المسؤول الحقيقي لهذا التغيير الكارثي لتحويل الوضوح إلى غموض، لذا تساءل هل يمكن أن يكون الرب هو الذي أراد أن يخفي مولد وحياة وموت المسيح إلى حين؟(26)

استعرض التناقضات التي أحاطت بالمسيح، واتى بهذه التناقضات من الأناجيل، والتناقض الذي طال أحداث الولادة والموت أو الصلب، طال أيضا قضية النسب إذ كان هناك جدل كبير حول نسب المسيح الذي كان مسألة نقاش وجدل ومصداقية تاريخية, فأحتار حيال الاختلاف فيه إذ وجد إن إنجيل متي يذكر من إن نسبه كان (يوسف، يعقوب، اليعازر_نبي الله زكريا_)، بينما إنجيل لوقا على العكس يذكر أن يوسف كان ابنا لاليعازر_ نبي الله زكريا_ ، فيما إن إنجيل لوقا كان قد أقام له شجرة نسب إلى ادم بستة وخمسين جدا, إلا إن إنجيل متى كان فيه شجرة نسب له تألفت من أثنين وأربعين جدا مختلفين كثيرا عن الذين ذكرهم لوقا.(27)

الأناجيل تتناقض في أمور تخص النسب والمولد والأمر أدهى تناقضها بمسألتي العقائد والمعجزات والتي هي الأخرى ما كن فولتير سيرفض تقبلها أو انه سيرفض حدوثها> وإنما نقدها تاريخيا وناقش كيفية حدوثها وكيفية تم تدوينها وبيان المصادر المحايدة التي ذكرتها، والتي أثارت شكوكا لديه حول سبب ومغزى وفحوى حدوث هذه المعجزات التي وجد في الأناجيل ذكرا مطولا لها، معجزات تتعلق بميلاد المسيح، ثم أفعاله، بل منها الذي حدث قبل ولادته، وحتى إن قسم من تلك المعجزات سيطال أمه مريم, وفي الأناجيل أيضا ذكر لعدد كبير من معجزات وأسرار قبل ميلاد المسيح، لتزداد وتتضاعف بعد مولده وأثناء حياته وأكثر بعد صلبه ومغادرته الحياة، ولان البابوية بررت حدوث تلك المعجزات بأنها كانت واجبة إن ترافقه لأنه المسيح المنتظر الذي كانت الدنيا بأنتظاره وهو المبشر به من قبل النبي موسى في التوراة, لكن فولتير في مطرح نقاشه لمعنى وفحوى _لقب المسيح_ في العبرية واليونانية واللاتينية فأنه وجد إن هذا اللقب لم يحضا بقدسية معينة فقد كان قد أعطي للعديد من الأمراء الوثنيين والخونة، كما أعطي للملوك والأنبياء والكهان اليهود.(28)

لإيضاح المسألة استعرض آراء المؤرخين المحايدين والمنحازين والذي مثل بحثا تاريخيا وبشكل معمق حول تاريخية وجود وظهور المسيح انطلاقا من تساؤله, أين المسيح في كتب مؤرخي عصره؟ لأن كما رأى إن العديد من العلماء سجلوا مفاجأتهم ودهشتهم من عدم العثور على أي أثر لذكر المسيح لا له ولا لمعجزاته عند المؤرخين الرومان الذين عاصروه ولم يأتي احد لذكر ولادته العجيبة ولا موته البشع, كما ولما لم يذكر أي مؤرخ شيئا عن إبادة مجاميع الأطفال الذين قتلوا بأمر من هيرودس في

السنة التي ولد بها المسيح، والمؤرخين أيضا لم يتحدثوا أبدا عن النجمة الجديدة التي قالت البابوية أنها ظهرت في الشرق بعد ولادة المسيح وهذا الأمر الفريد يفترض أن لا يغيب عن معرفة مؤرخي ذلك العهد, وان هؤلاء المؤرخين بدو وكسر للعادة في بيان كل ما حدث أنهم التزموا الصمت عن الظلام الذي غطى جميع أقاليم الكرة الأرضية لمدة ثلاث ساعات في منتصف شهر نيسان.(29)

وقياسا على ما تقدم لم يخفي دهشته من صمت المؤرخين الرومان المطبق في عدم ذكر المعجزات، على أساس أن هذه الأحداث وقعت في الإمبراطورية الرومانية وكان لابد إن يذكروها ويفسروها لأنه راقبها الجند الذين يفترض أن يرسلوا إلى الإمبراطور ومجلس الشيوخ توضيحا عن الظروف التي ادخلت روما ذاتها في ثلاثة ساعات الظلام الحالك في ظهيرة احد ايام نيسان وهكذا حدث كان من المفترض والمعقول إن يدون ويحلل ويفسر في سجلات التاريخ الروماني.(30)

ونظرا لتراكم الاساطير المضللة التي أيقن زيفها رفض الايمان بعقيدة التثليث وألوهية المسيح معها، وطالب بالتجرء في رفض فكرة إن يكون الله انسانا باعتبارها مرعبة، لأن المسافة بين الله والإنسان لا نهائية، ومن المستحيل إن يكون الكائن اللانهائي العظيم قد احتواه جسد إنسان فان, وهذا ما يناقض أقوال وافكار البابوية المتحججة بكتابات القديس بولس التي اكدت انه قال إن المسيح هو الله, لكن بعد بحثه الدقيق ما وجد فولتير أي قول لبولس حول ذلك بل إن القديس بولس لم يطلق أبدا على المسيح اسم الله وإنما كان غالبا يسميه بالإنسان.(31)

لم يعتقد بالمسيح إلا انه كان رجلا ملهم من الله، وتطور بعد ذلك كمخلوق أحسن من كل الآخرين، وبعد مضي وقت تصور انه قد أعطت له مكانة تحت درجة الملائكة مباشرة، وقد وجد إن الكتابات الكنسية قامت بتعظيمه كل يوم أكثر وتباعا يضيفون لشخصه وروحه وصفاته أشياء جديدة، وبالغوه به كثيرا حتى أوصلوه ليكون فيضا مقتبسا من نور وقدرة الله, ثم جعلوه يولد قبل الزمن، واستمروا بجهلهم حتى عملوا منه إلها من نفس ماهية الله.(32)

ومحاولة منه إدراك ما تقدم فقد قام بتحليل ونقد فكرة الثالوث المسيحي بطرحه تساؤل حول سؤال اعتبره غير مفهوما في ماهية المسيح وهل كان فعلا كلمة, وإذا كان كلمة، هل جاءت من الله في الزمن أو قبل الزمن؟ وإن كان كذلك فهل شارك الله في أزليته وجوهره، أم إن له جوهر يشبهه؟ وهل هو متميز عنه أم لا؟ وهل خلق أم انبثق من الله؟ هذه التساؤلات التي أثارها فولتير ادرك مدى صعوبتها واستحالة الإجابة عنها, وذات التساؤل انتقل إلى الروح القدس، باعتباره مكملا للثالوث، فهل هو الأخر كان قد خلق أم انبثق، وهل كان قد انبثق عن الأب أو من الابن أم انه كان قد انبثق عن الاثنين معا؟ وأكد انه عبر هذا الثالوث لم يفهم شيئا، ولا أحد فهم شيئا، ولهذا السبب انشقت طوائف عديدة من المسيحية كفر بعضها البعض الأخر وضلت وضل الجميع معها.(33)

وقد كان له موقفا من الكتاب الذي بشرت به المسيحية، وهو الإنجيل أو الأناجيل التي وجدها مكتظة بالتناقضات والاخطاء، فنفيه لألوهية المسيح والتثليث بناه على أساس عدم ذكر ذلك في الإنجيل، والابتعاد عن حقائق النصوص, ورغم تعرضه لتساؤلات عديدة إلا انه لم يتغافل عن أمر هام، وهو تتبعه لاقوال رجال الكنيسة الاوائل أو كما عرفوا بالاباء فانه لم يجد أي أحد منهم ذكر أي مقطع من الأناجيل الأربعة المتداولة والمعترف بها، ووجدهم يأتون بفقرات عديدة لا توجد إلا في الأناجيل المختلفة التي أقصيت بحسب القانون الكنسي والتي عرفت بالأناجيل المزورة أو أناجيل ابوكريفه, وكما ذكر عن احد الباباوات الأوائل إنه عندما سئل المسيح عن الزمن الذي ستحل فيه مملكته، أجاب (يكون ذلك عندما الاثنان لا يكونان إلا واحدا، وعندما الخارج يماثل الداخل، وعندما لا يكون ذكر أو أنثى...) لذا اكد فولتير بأن هذه الفقرة، لا توجد ولا في أي إنجيل من ألاناجيل الأربعة، ويوجد مائة مثال على هذه الحقيقة.(34)
وهذا قليل من كثير، ومع انه كان مقتنعا بالتزوير فيها إلا إن موضوعيته جعلته يذكر الآراء المؤيدة لأصالة وصحة الأناجيل، ليس بهدف تأكيدها وإنما لدحضها أيضا، ولذا وصل إلى الافتراض أن الأناجيل التي تشكل موضوع الإيمان اليوم ما هي إلا كمؤلفات لصعاليك أدب وقصص، اصطنعت بحوالي قرن بعد المسيح, وإنها مؤلفات كتبت بفظاظة من رجال مغالين لا يتوجهون بكلامهم إلا إلى الدهماء، و بها أمور رفضها جملة وتفصيلا، من سفك للدماء وفسق وزنا المحارم، والتناقض الذي عده دليلا قاطعا على الكذب، كما أكد بأن في الأناجيل أكاذيب كثيرة ومفسدة خطت من قبل مسيحيين ناقصي التكوين، أكاذيب لا علاقة لها بالحقيقة المسيحية.(35) لم يكتفي فولتير بنقده للكتاب المقدس، وإنما تعرض للعقائد والطقوس المسيحية ونقدها باعتبارها مثلت وتمثل جوهرا دينيا، وهي الأخرى لم تكن لها أية علاقة بالمسيح كما برهن على ذلك، وهذا ما سنوضحه ألان.

4 فولتير والعقائد والطقوس المسيحية/

إن عقيدة التثليث في مفهوم فولتير ما هي إلا عقيدة مبهمة، وهي لا توجد في أي موضع من مواضع الأناجيل، ولم يتمكن مطلقا من إيجاد أي فقرة انجيلية تفسر أو يتم الاستنتاج منها عن هذه الفكرة الغريبة, وعد الثالوث أكبر وأخطر خطأ في كنيسة عيسى المسيح، لأنه فتح القول بالتعدد الإلهي مع إن أنصار التثليث يدافعون ويصرون أنه لا يوجد إلا إله واحد، إلا أن به ثلاثة أقانيم، لكن كل واحد إله حقا, وفولتير رفض ذلك لأن هذه التفرقة الرياضية هي واحد بالجوهر وثلاثة أشخاص بالنتيجة، وهذه المعادلة الرياضية الملفقة ليس لها اثرا في كل الأناجيل الرسمية أو حتى في اناجيل ابوكريفة(Apocryphes) ، ثم إنها تفرقة خاطئة فإنه إن صدق التثليث فستكون التفرقة بلا جدوى، ومن دون أساس في تقسيم موضوع غير قابل للانقسام، وسيتميز

في الثلاثة ما لا يمكن تمييزه في نفسه، وإذا قيل إن الأقانيم الثلاثة، ليست مختلفة في الجوهر الإلهي، ستساق أيضا على انها ليست أعراضا له، ولن يتم إثبات شيء ما.(36)
ومن خلال بحثه حول رسالة يوحنا الإنجيلي تتبعا لقضية الثالوث وجد فيها نص غريب هو (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب، والكلمة، والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة، الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد), فأكد إن هذا النص لا وجود له في أي إنجيل متداول أو حتى قديم وبالتالي يكون كلام القديس يوحنا عن التثليث غريبا، خاصة وأنه لم يذكره في إنجيله وأكثر من ذلك يؤكد فولتير انه لم يجد أثرا لهذا المعتقد، لا في الأناجيل القانونية المعتمدة، ولا حتى في باقي الأناجيل المختلف حولها، أو التي اعتبرت مزيفة, ابوكريفة (Apocryphes) .(37)
فولتير تناول أيضا الجدل الذي أثير حول تأليه المسيح، لأن هذا التأليه هو الذي أثار كل الإشكالات العقدية لان المسيح لم يوضع في صف الأنبياء، ولا قالوا عنه إلها بمعنى الإطلاق، ولكن مساو له، أو قريب منه! هذا الموضوع الشائك أدى إلى إصدار قرارات الحرمان بين المسيحيين من قبل المجامع الكنسية، وأمام هذه الأحداث فتح فولتير قوسا على هذه المجامع وغيرها من العقائد التي شكلت عبر الزمن بقرارات المجامع الكنسية, إذ بات مؤكدا أن المسيحية تشكلت عقائدها تدريجيا عبر هذه المجامع، التي كانت في كل مجمع تؤكد عقيدة وتشطب أخرى، وإذا كان مجمع نيقيه 325م قد اقر فيه أن عيسى قديم مثل الأب، لكنه ناقش مسألة هامة أيضا، تخص الأناجيل وهي تحديد واختيار كتب الاناجيل المناسبة ليس بمقياس عقلي أو ديني أو حتى منطقي فقد تم وضع ما يقرب من خمسين انجيل على طبلة المعبد، والكتب التي تسقط ترمى وما تبقى منها فوق الطبلة الصغيرة تم اعتمادها بعد تهذيبها كأناجيل معتمدة!! وتوالت المجامع فقعد ثانيها وهو مجمع القسطنطينية 381م الذي اقر خلاله أمر روح القدس والذي عد فيه انه رب حي، إنبثق عن الأب، وبأنه يعبد ويعظم مع الأب والابن, فتوالى فولتير تتبعا للمجامع فوجد إن المجمع الثالث عقد في افسس 431م والذي اقر السيدة مريم والدة عيسى المسيح, أم حقيقية للإله، وأن عيسى شخصية واحدة بطبيعتين اللاهية وإنسانية.(38)
إن دراسته لهذه المجامع كشفت له عن فحوى تاريخ وحقيقة ما حدث، من إن الصراعات التي كان يغذيها الجدل اللاهوتي هي التي شوهت أصالة الفكرة وشوهت الديانة المسيحية ومسختها عبر قرون عديدة, وأمام هذا الوضع استاء فولتير من الصراعات التي خلفت الخراب والدمار والانشقاق والجوع والفقر المدقع والجهل الحالك، بينما كان الآباء والأساقفة يعيشون كالأمراء فكيف لنا إزاء كل ذلك نقول إن الله اوجد واظهر كنيسته بطريقته الخاصة وهي مطرزة بالنزاعات والمظالم والسرقات والتزوير والجرائم.(39)

مع كل الأخطاء والتناقضات والإضافات لاحظ فولتير إن الإنجيل رغم ما أضيف إليه، ورغم تناقضاته إلا أنه لم يقل كلمة واحدة حول ماهية الله، أو ماهية الكلمة التي وصف بها المسيح واشغلت المسيحيين عشرات القرون، ولم يوضح ماهية الشرف الذي حصلت بموجبه السيدة مريم لتكون أم إله.(40)

لم يكتف فولتير بنقده للمسيحية فقد عارض أيضا بشدة عزوبية الرهبان الذين يفترض أن يتزوجوا وينجبوا أولادا ذوي تربية عالية لخدمة المجتمع.(41) كما وعزز رفضه بنقده لبعض الطقوس المسيحية كطقس أو عقيدة التعميد التي ارجع أصولها إلى الحضارات اليونانية والهندية ومن ثم الديانة اليهودية، إذ إن المسيح لم يعمد أحدا، لكن سرعان ما تحول التعميد إلى طقس للديانة المسيحية مصحوبا بغفران كامل، لكن شيئا فشيئا العادة المعتقة للذنوب، أضحى يتم تأجيلها إلى إن يكون الموت قريبا من الإنسان كي يتعمد ليغفر للمذنب ببساطة منافية للعقل كل ذنوبه.(42)

وحسب ما رأى فإن التعميد تطور من قرن لآخر، سواء من حيث تطبيقه بطريقة رش الماء أو الغطس أو عدد الغطسات عند الاحتضار، حتى أصبح شعيرة مسيحية أساسية مع ثبوت عدم أهميته وأنه لا أثر له في أصول العقيدة، وهو في أحسن الأحوال بصمة اعتراف بالذنوب فقط، لأن الرش بالماء لا يعمل من الإنسان مسيحيا, إذ انه ليس أكثر من بدعة أدخلت على المسيحية، وتطورت طرق أدائها ودلالاتها وغلفت بالأسرار كعادة العقائد المسيحية, وان هذه العقيدة الجبرية التي ألزمت كل الأباطرة المسيحيين وكبار رجالات الدولة والقتلة واللصوص والفاسدين، على تأجيل القيام بعمادهم حتى لحظة وفاتهم، والذين كانوا يعتقدون أنهم وقفوا على السر الذي يمكنهم من العيش مجرمين والموت كفضلاء.(43)

استمرارا بتفنيده لعقائد وطقوس المسيحية فقد نقد وفند عقيدة عبادة الصور, والمسيح نفسه لم يكن يمتلك أي لوحة ولم يأمر أبدا بتمجيد الصور أو عبادتها، لكن رغم هذا، المسيحيون مجدوا الصور واقر مجمع نيقيه الثاني 787، عبادة الصور واعتمدها, لذا طرح فولتير تساؤله عن تبرير هذا المجمع لعبادة الصور، ام إن قراره جاء من باب توالى المجامع بقراراتها المتناقضة والتي لا علاقة لها بالمسيح أو بمجتمع الحواريين فلذا اعتبرها عقيدة هزلية.(44)

وتكرر وصفه بالهزلية لطقس أخر وهو الاعتراف الذي لم يكن بترجمته سوى اعتراف إنسان لإنسان آخر، والذي كان قد اعتمد في القرن السابع كعقيدة رسمية، وتدرج الأمر إلى الاعتراف لرئيس الدير بكل الأخطاء مرتين في السنة، وإلى اعتماد الاعتراف العلني حتى وصل إلى اعتراف الجميع بأخطائهم وجرائمهم أمام القساوسة.(45)

ومع إن الاجواء التسلطية للكنيسة الفرنسية والتي كانت تحرم وتمنع الجميع من نقدها وتلاحقهم إن تجرئوا على ذلك لكن فولتير لم يوقف انتقاداته إذ لم يفوته تفنيد عقيدة تحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح في ليلة راس السنة الميلادية, والتي اعتبرها

ضد كل قوانين الفيزياء، واضحوكة ما قبل النوم, فأيقن إن معظم العقائد والطقوس الممارسة في الديانة المسيحية ما هي إلا اختراعات بشرية تم وضعها لاستغلال واضطهاد الناس.(46)

واستنتج بعد كل ما قدمه من اخطاء وتناقضات واكاذيب إن المسيحية بكتابها وتاريخها وطقوسها وواقعا ما هي إلا ديانة تهدف إلى السيطرة الروحية والسياسية، تسببت في خسائر بشرية فادحة في تاريخ الغرب المسيحي، تقولبت في صورة متعصبة قادت إلى القتل والجرائم والجنون، باسم القداسة, وان هذا التعصب الديني تحول إلى مرض، وإلى ورم في الدماغ، هذا المرض من المستحيل تقريبا شفاؤه بحيث لا يوجد له علاج، إلا في الفكر الفلسفي الذي يلطف شيئا فشيئا من تقاليد الناس, لكن لماذا برر إن في الفكر الفسلفي الحل والعلاج تحديدا وذلك لأيقانه إن سن قوانين تقضي على التعصب أو اتخاذ أسلوب الوعظ الديني، لا ينفعان في حالة التعصب الشديد، ثم إن الدين قد يتحول إلى سم في الأذهان المصابة، لإن هؤلاء الأشقياء يستشهدون دائما بأمثلة دينية دموية مطرزة بالقتل والجرائم ومع ذلك هي محترمة وسارية في الزمن, وان الدين رغم كونه مخلّص الروح إلا أنه لا يسد في هذا المقام، وكذلك القوانين التي تسنها الدولة في رأي فولتير هي أقل قدرة من الدين لان الفكر المقدس أعلى من سلطة القانون, وكل ما قدمه فولتير اوجد له حل في المذاهب الفلسفية، لأنها معفاة أصلا من مرض التعصب المقدس وهي الدواء الشافي له، لأن الفلسفة تعمل على إعادة الطمأنينة للروح، بينما التعصب الديني لا يتفق مع الطمأنينة.(47)

الخاتمة/

فولتير تناول اغلب عقائد وطقوس واركان الديانتين اليهودية والمسيحية، واقفا على كل صغيرة وكبيرة تتصل بهما، وهو لم يتبع في قاموسه الفلسفي منهجا معينا يمكننا من تتبع افكاره وخطواته، لكن لا يفهم من هذا افتقاده للمنهج وإنما هو نوع وير في أساليب نقده مستخدما تقنيات متعددة.

إن القاموس الفلسفي في حد ذاته لم يوجه لأي قارئ، وإنما لقارئ فيلسوف رغم الطابع التاريخي الغالب والذي يحتاج إلى القارئ المؤرخ، ولكن روح نصوص مقالاته كانت تميل إلى فلسفة التاريخ، فقام من خلاله بالفحص التاريخي متأملا في تاريخ العقائد القديمة السابقة للديانتين اليهودية والمسيحية ثم قارنها مع العقائد المماثلة، محاولا أن يرد الطقوس والعقائد الدينية إلى أصولها الحقيقية، هذا جعله يشكك في مصداقية التاريخ، تاريخ أسفار التوراة واستحالة اعتبارها كحقائق تاريخية، كذلك قام بالمقارنة بين نصوص عديدة منها، ليقف على التناقض ومن ثم يثبت التحريف والكذب بحثا في ظروف التدوين، وتطرق لنقد الفحوى والمغزى والمضمون.

كما وقدم نظرة تاريخية أكثر شمولا في حديثه عن المسيحية، فلم يعزلها عن باقي الأحداث، وعالجها في سياق تاريخي تعددي، عكس نظرة الكنيسة التي كانت تتسم بالتعالي والكبرياء لدرجة انه نجح بكتابة نوعا جديد من تاريخ العالم المسيحي. ومع انه كان ابنا لبيئة كاثوليكية مسيحية إلا انه من المؤكد لم يكن مسيحيا وإنما كان ألوهيا مؤمنا، آمن بالله الواحد, فلذلك رفض فولتير كل العقائد التي رسمتها الكنيسة، محافظا على الخط المشترك من القيم والذي لا يقتصر على المسيحية، لأنه أيقن إن الله وهب الناس جميعا معرفة العدل والظلم في جميع الأزمنة التي سبقت المسيحية.

يعتبر كتاب القاموس الفلسفي لفولتير نفحة قوية من نفحات التنوير الفرنسي، ذات الروح النقدية التفنيدية لليهودية والمسيحية, حملت هذه النفحة قيم سامية تخص العدالة، والحرية، والتسامح، واحترام العقل الإنساني، إلا أن هذا الاحترام وصل حد التقديس، وحد التطرف في رفضه للتناقضات والأخطاء والإضافات والتبريرات المنافية للعقل والتي كانت تتسلط بها وعن طريقها الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية على الشعب الفرنسي, فجاء قاموس فولتير في وقته لكسر هيبة نقد الكنيسة مما أوصل إلى نتائج خطيرة وتطورات متلاحقة أوصلت الشعب الفرنسي بشكل متسارع إلى سبيل الثورة في عام 1789م.

الهوامش//

1- Voltaire, Dictionnaire philosophique, articl: foi, édit Gallimard, 1994, P.45.
2- IBID,P.49.
3- IBID,P.53.
4- IBID,P.57.
5- IBID,P.64.
6- IBID,P.68.
7- IBID,P.271.
8- Andre Cresson, Voltaire, edition oueidat, Paris 1959, P.86.
9- IBID,P.92.
10- IBID,P.103.
11- IBID,P.115.
12- Voltaire, op, cit ,P.320.
13- IBID,P.329.
14- IBID,P.357.
15- IBID,P.363.
16- Andre Cresson, op, cit, P.122.
17- IBID,P.127.

IBID,P.129. -18
IBID,P.131. -19
IBID,P.135. -20
Voltaire, op, cit, P.398. -21
IBID,P.400. -22
IBID, P.409. -23
Andre Cresson, op, cit ,P.146. -24
IBID,P.151. -25
24_هاشم صالح, مدخل إلى التنوير الأوربي, دار الطليعة, بيروت 2005, ص ص 224_234.
Andre Cresson, op, cit ,153. -26
IBID,P.167. -27
IBID,P.170. -28
Voltaire, op, cit ,P.182. -29
IBID,P.194. -30
IBID,P.196. -31
IBID,P.198. -32
John smith, P, modern coulter, London 1948,p .25. -33
IBID,P.27. -34
IBID,P.30. -35
IBID,P.32. -36
IBID,P.36. -37
Voltaire, op, cit ,P.228. -38
IBID,P.239. -39
IBID,P.240. -40
IBID,P.241. -41
43_ هاشم صالح, فولتير_ زعيم الأنوار الأوروبية, صحيفة الشرق الأوسط , 2008/6/2.
Andre Cresson, op, cit ,P.177. -42
IBID,P.180. -43
IBID,P.183. -44
IBID,P.185. -45
Voltaire, op, cit, p. 249. -46
John smith, P, op, cit, p.51. **-47**